الدرس الثاني

هوشـــع

تركيب السفر

مقدّمة

رسالة هوشع موجّهة بصورة أساسيّة إلى المملكة الشماليّة كتحذير لهم قبل سقوطهم في يد أشور سنة 722 ق.م. وبما أن الدينونة كانت وشيكة الوقوع، أراد الله أن يكونوا على دراية تامّة بسبب تعرّضهم لذلك المصير. وينبغي دراسة سفر هوشع في ضوء خلفيّة العهد الموسويّ. فقد قال الرب سابقا بأنّ عدم أمانة الشعب لمتطلّبات عهده ستؤدّي إلى جلب اللعنات عليهم (تأديبا لهم بسبب عصيانهم). ويواجه هوشع المملكة الشماليّة، مشيرا إلى عدّة طرق تم بواسطتها خرق متطلّبات العهد. لكن هوشع يتجاوز فكرة "المواجهة" ويتمسّك بأمل العودة بناء على التوبة المقبولة. ويشير "ديفيد ويرتزن" (David B. Wyrtzen) إلى أنّ قصد هوشع هو أن يُقدِّم مواجهة شخصيّة بين الله وإسرائيل بهدف ردّ الشعب للربّ. "فالله يُبطل العهد الموسويّ بسبب تكرار عصيان إسرائيل، ويُنشئ عهدا جديدا معهم بناء على وعوده الغنيّة للآباء ولداود."[1]

يتركّز تركيب السفر حول خمس حلقات من الدينونة والخلاص. وفي كُلّ حلقة أو دائرة نرى أنّ مقطع الدينونة يليه مقطع خلاصيّ يُبرز الأمل في رد الأمّة. وفي الأصحاحات 1–3 يظهر ذلك في رمز الزواج من زانية، وفي الأصحاحات 4–14 نجد رمز دعوى العهد ضد إسرائيل. ويبلغ السفر نقطة الذروة في الآية 1:14–2 حيث تصبح النعمة هي أساس العلاقة المتجدّدة.

أوّلا: دروس وعِبَر من زواج هوشع (1:1–5:3)

يُركِّز هذا المقطع على استخدام زواج هوشع لتوصيل قصّة رمزيّة لأمّة إسرائيل عن خيانتها للعهد مع الربّ.

أ) الحلقة (أو الدورة) الأولى: رمزيّة عائلة هوشع (1:2–2:1)

[1] David B. Wyrtzen, "The Theological Center of the Book of Hosea," *Bibliotheca Sacra* 141 (Oct-Dec 1984): 315.

الأفكار الرئيسيّة للسفر مذكورة في هذا المقطع: خيانة إسرائيل، يقين وقوع الدينونة على الأمّة ومن ثمّ ردّها في النهاية.

لقد قامت الملكة الشماليّة باتهاك وخرق العهد الموسويّ، وبالتّالي يجب أن تتلقّى اللعنات الموعود بها في تثنية 28–29. لكن الربّ لا يجد متعة في ذلك، وهو يستخدم صورة توضيحيّة حيّة جدّا لتوضيح ما يشعر به من أسى وألم تجاه ذلك.

1. جانب الدينونة كما يظهر من الأسماء الرمزيّة (1:2–9)

يرمي زواج هوشع المُشين والمُخزي من جومر إلى توضيح عدم أمانة إسرائيل للعهد مع زوجها يهوه. "وعبارة "امرأة زانية (وحرفيّا "امرأة زنى") لا تصف حالتها وقت الزواج، بل إنّها عبارة تتوقّع ما أثبتت بأنّها تتّصف به، أي أنّها زوجة تتّصف بالخيانة."[2] والنقطة الأساسيّة هي أنّه كان ينبغي على هوشع أن يأخذ لنفسه زوجة تُثبت عدم أمانتها. وبالطريقة نفسها، فإنّ عبارة "أولاد الزنى" لا تعني بالضرورة أنّ هوشع ليس والدهم، بل إنّهم يولدون في بيئة خيانة جومر.

يزرعيل. لا تكمن أهميّة اسم أوّل مولود في معنى الاسم في حدّ ذاته، بل في ارتباط الاسم بموقع جغرافيّ هام. فيزرعيل هو اسم الموقع الذي قام فيه ياهو بإيقاع دينونة الله على بيت آخاب (2ملوك 9). لكن يبدو أنّه تمادى بمهاجمته بيت داود أيضا. لذلك، قرّر الربّ أن يقضي على سلالة ياهو. وقد تحقّق ذلك في سنة 752 قبل الميلاد حينما قام شلوم باغتيال زكريّا. وبعد ذلك بفترة قصيرة حلّت دينونة الربّ على المملكة الشماليّة نفسها حيث انكسرت قوّتها في يزرعيل. ففي السنوات 734–722 قبل الميلاد، اجتاحت جيوش الآشوريّين إسرائيل وجعلتها مجرّد ولاية تابعة لإمبراطوريّتهم (من الواضح أن سهل يزرعيل نفسه قد اجتاحه تغلث فلاسر الثالث في سنة 733 قبل الميلاد).

لورُحامة. لكنّ عدم امتثال ياهو لأوامر الربّ لم يكن يُمثّل سوى جزءا صغيرا من سلوك الأمّة ككُلّ. وقد أدّى استخفاف إسرائيل الصارخ بالعهد إلى إيصالها إلى نقطة عزم عندها الربّ على عدم الإشفاق عليها (ومن هنا أتى اسم لورُحامة = "عدم الرحمة"). لقد حجب الله التّأديب عن إسرائيل لمدّة طويلة؛ أمّا الآن فقد حان وقت التّأديب. وعلى النقيض من ذلك، كانت المملكة الجنوبية أكثر تجاوبا مع العهد، وبالتّالي فقد منحها الربّ مدّة حياة أطول. وسُرعان ما جاء التعاطف مع يهوذا التي خلفت إسرائيل حينما عمل الله بطريقة خارقة للطبيعة على إبادة 185,000 آشوريّ سنة 701 قبل الميلاد (2ملوك 19:32–36).

[2] Robert B. Chisholm, "Hosea," in *The Bible Knowledge Commentary (OT)*, ed. John Walvoord and Roy Zuck (Wheaton, IL: Victor Books, 1985), 1379.

لوعمّي. معنى الكلمة "لستم شعبي" وهي تُذكِّر بالعهد: "وأسير بينكم وأكون لكم إلها وأنتم تكونون لي شعبا" (لاويين 12:26). والعبارة الأخيرة في هوشع 9:1 تعني حرفيّا: "وأنا لست يهوه الكائن بالنسبة لكم". والنقطة الجوهريّة هُنا هي أن المملكة الشماليّة لم تعد تتمتّع بمزايا وجودها في علاقة العهد مع الله الحقيقيّ يهوه. ورغم أن الله لن يقضي على اليهود نهائيّا وذلك بسبب العهد الإبراهيميّ، إلاّ أنّه يملك مطلق الحريّة في قطع علاقته بأيّ جيل معيَّن خائن.

2. جانب الخلاص: استرجاع علاقة العهد في المستقبل (1:10–1:2)

الكلمات الافتتاحيّة لهذا المقطع تجعلنا نتذكّر وعود الرب غير القابلة للنقض مع إبراهيم. وفي الحقيقة، فإنّ الدينونة الواقعة على المملكة الشماليّة في هذا الجيل لا تعني بأيّ حال من الأحوال بأنّ الله ألغى برنامجه أو مخطّطه مع الشعب اليهوديّ. وبحسب الآية 11، فإنَّهُ لن يتم ردّ الشعب فحسب، بل إن ذلك سيكون مصحوبا بانضمامهم إلى يهوذا. وسوف يتحقّق ذلك حينما يصبح لهم "رأس واحد"؛ إشارة إلى الوعد بحاكم واحد من نسل داود يملك إلى الأبد (2صموئيل 7) – سوف يتحقّق ذلك بعد الضيقة العظيمة حينما يعود المسيح ليقيم مملكته على الأرض. وفي ذلك اليوم سوف يصبح جزء ممن رجعوا للربّ من الأمّة هُم "شعبي" وستحظى برحمة الرب (1:2). وسوف يكون هذا بمثابة التحقيق الكامل لما جاء في تثنية 30، وهو وقت تنبّأ عنه أيضا الرسول بولس في رومية 11:25–32.

ب. الحلقة (أو الدورة) الثانية: رغم أن الشعب يرفض الرب الآن، إلاّ أنّهم في نهاية المطاف سيرجعون إليه ثانية وبالتالي فسوف يقوم الرب بِرَدّ شعبه (2:2–23)

على غِرار المقطع السابق، نرى في هذا المقطع أيضا تدرّجا من الدينونة (2:2–13) إلى الخلاص (2:14–23).

1. جانب الدينونة: خيانة إسرائيل ستؤدّي إلى وقوعها تحت الدينونة وحجب بركات الربّ عنها (2:2–13)

تبدأ الكلمات الافتتاحيّة لهذا المقطع باتّهام إسرائيل بخيانتها للعهد. ويتم تصوير علاقة العهد بين الله يهوه وإسرائيل بصورة زواج يكون فيه الربّ هو الزوج وإسرائيل هي الزوجة الخائنة. ويتمّ التعبير عن الدعوة إلى "المحاكمة" بالكلمة العبريّة ריב التي تعني اتّهاما قانونيّا رسميّا (قارن إشعياء 1). ونجد صيغة الاسم مستخدمة في 1:4 ("مُحاكمة"). وينشأ الاتّهام القانونيّ من حقيقة أن العلاقة قد تدهورت بصورة كبيرة إلى درجة أنّ الرب يقول "لأنّها ليست امرأتي، وأنا لست رَجُلها". وبما أن الرب يستمر في

الحديث ويشير إلى ردّها في المستقبل، فمن المُرجّح أن هذا لا يعني إنهاء العلاقة (الطلاق). ويرى "ديريك كيدنر" (Derek Kidner) بأنّ المقصود من وراء هذا الإقرار هو توصيل فكرة أنّه "لم تعد العلاقة حقيقيّة".[3] ورغم هذا، فإنّ الرب لا يُمارس حقّه في قتل زوجته الخائنة (بحسب الشريعة)، بل إنّه يدعوها للتوبة (2:2ج، د).

وعلى الرغم من ذلك، فإنّ الرب يتوعّد بـ "تعريتها"؛ أي بجعلها موضوع عار وسخرية. "تلك التي كشفت عن عريّها لعشّاقها ستُعرّى أمام الجميع ليروها".[4]

علاوة على ذلك، سوف يعمل الربّ على حرمان إسرائيل من عشّاقها (ولا سيّما "بعل") لأنّها عزت ما يصيبها من خير (الرخاء الزراعيّ والاقتصاديّ) لتلك الآلهة الوثنيّة وليس للربّ. وحينما نقرأ بركات القمح والزيت في الآيتين 2:8–9 فإنّنا نتذكّر بركات العهد التي وعد الربّ بها شعبه في تثنية 28؛ وبالتالي، سيتم حجب هذه البركات لتحلّ محلّها لعنات العصيان وعدم الطاعة. والعبارات "ولا يُنقذها أحد من يدي"، و "وأخرب"، و "وأعاقبها" تؤكّد بأنّ متاعب الأمّة لم تكن محض صدفة، بل إن الربّ كان يتحكّم في ما يصيب إسرائيل من مصائب.

2. جانب الخلاص: سوف يعمل الرب في نهاية الأمر على ردّ الأمّة وإغداق بركات العهد عليها (2:14–23).

تقضي مشيئة الرب بأن ترجع الأمّة إليه في المستقبل حيث تتجدّد العلاقة ويعود الرب إلههم من جديد ليكون "Ishi"، أي "زوجي". والوعود المذكورة في 2:18 تشبه إلى حد كبير تلك الوعود التي تنبّأ بها إشعياء (إشعياء 11:6–8)، وهي تشير إلى أنّ يوم تحقّق ذلك سيكون في الملك الألفيّ. كذلك، فسوف يتم ردّ بركات العهد المذكورة في تثنية 28 أيضا (هوشع 2:21–22). وسوف يرحمهم الرب من جديد!

ج. ردّ العلاقة الزوجيّة (3:1–5)

يعود التركيز لينصبّ مرّة أخرى على زواج النبيّ من زوجته الزانية. فسوف يتم ردّها، وهذا درس عمليّ للأمّة بأنّ الله سيقوم في يوم ما بردّ شعب عهده ويعيد العلاقة إلى سابق عهدها. أمّا الفترة الطويلة التي قضتها جومر وهي بعيدة عن زوجها فهي ترمز إلى السبي الذي ستتعرّض له الأمّة. والعبارة "بلا ملك وبلا رئيس" تشير إلى فقدان الأمّة لسيادتها، و"بلا ذبيحة وبلا تمثال" تشير إلى التوقّف عن النشاطات الدينيّة الرسميّة.

[3] Derek Kidner, *Love to the Loveless: The Message of Hosea* (Downers Grove, IL: IVP, 1981), 27.

[4] Chisholm, 1383

وعلى الرغم من ذلك، سوف يكون لإسرائيل مستقبل "بعد ذلك". لكن متى سيحدث ذلك؟ هذا يتوقّف على توبتهم، أي: "يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم." وهذا يتوافق مع المبادئ المذكورة في تثنية 4:29–31 و 1:30 وما يليها من آيات، حيث أنّ ردّ إسرائيل يجب أن يكون مسبوقاً بتوبتها. وتخبرنا الآية هوشع 5:3 أنّ هذا سيحدث في "في آخر الأيام"، وهو تعبير استخدمه أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد كتعبير اصطلاحيّ لوقت ردّ إسرائيل حسب ما تنبّأ به موسى (قارن إشعياء 2:2 و ميخا 1:4). ورغم احتماليّة تحقّق هذا بصورة جزئيّة بعد الرجوع من السبي، إلاّ أنّ التحقّق الكامل سيكون في نهاية فترة الضيقة العظيمة قبل المجيء الثاني للمسيح مباشرة (قارن زكريّا 10:12 وما يليها من آيات).

في أيام يربعام، تحوّلت المملكة الشماليّة عن نظام الحُكم الملكي الداوودي؛ لكن في هذا اليوم المستقبليّ سوف يعودون إلى نظام الحُكم الملكيّ الداوودي المتمثّل في شخص ابن داود الأعظم، الرب يسوع المسيح ملكهم. ممّا يثير الدهشة أنّه حتّى ترجوم يوناثان الآرامي (Targum of Jonathan) يقول بشأن هذه الآية إن "هذا هو الملك المسيّا".[5] وهذه الفكرة تتكرّر مرّة أخرى في الآية 15:5.

ثانياً: رسالة هوشع: دينونة الله وردّ إسرائيل (1:4–9:14)

في المقطع السابق، رأينا مواجهة ردّ إسرائيل من خلال الصورة التشبيهيّة للطلاق الإلهي والزواج مرّة أخرى. ويواصل هذا المقطع الجديد تقديم الفكرة نفسها بدءا من الآية 1:4 التي تقول بأنّ لدى الرب "مُحاكمة" (רִיב) ضدّ إسرائيل. وهذا مصطلح قانونيّ للدلالة على وجود دعوى إلهيّة. وبالتالي، فالربّ الآن يواجه الأمّة (بهدف ردّها) مستخدما رمز محاكمة عهد إلهيّة. وسبب ذلك مذكور في 1:4ج، د: "لأنّه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض". وها هي الأمّة موجودة في قاعة المحكمة، وقد وجّهت إليها تهمة خرق وانتهاك العهد الموسويّ.

إن بنية هذا المقطع شبيهة ببنية الأصحاحات الثلاثة الأولى من هذا السفر. وهنالك ثلاثة مقاطع رئيسيّة ضمنه (1:4–3:6؛ و 4:6–11:11؛ و 12:11–9:14). ويتألّف كُل مقطع رئيسيّ من مقطعين فرعيّين رئيسيّين: مقطع دينونة يليه مقطع خلاص.

أ. دعوى الربّ ضدّ إسرائيل (1:4–3:6)

[5] Charles L. Feinberg, *The Minor Prophets* (Chicago: Moody Press, n.d.), 27.

"أساس الدعوى هي أنّ إسرائيل قد أخلّت بعهدها مع الرب (تجاوزوا عهدي" 1:8) في عدم طاعتها لوصايا الرب ("وتعدّوا على شريعتي" 1:8؛ قارن 6:4؛ 12:8)".[6] في هذا المشهد، نرى بأنّ الله هو الطرف المظلوم الذي يوجّه الاتّهامات، في حين أن الحُكم صدر بأنّ إسرائيل مذنبة (1:13؛ قارن لاويين 13:4، 22، 27) ويجب أن "تتحمّل العقاب والذنب" (هوشع 2:10؛ 10:13).

1. الكشف عن إثم إسرائيل (1:4–19)

التهمة العامّة بالخيانة موضّحة بتفاصيل محدّدة (انظر مثلا الآية 2). ونجد هنا ذكرا لما لا يقل عن خمس من الوصايا العشر. القيادة الدينيّة والشعب ضلّوا معا. يوجّه الرب تحذيرا ليهوذا بأنّ لا تحذو حذو إسرائيل (15:4).

2. إصدار الحُكم على إسرائيل (1:5–15)

يفتتح مقطع الدينونة باتّهام موجّه إلى قيادة المملكة الشماليّة، الكهنة والحُكّام (1:5)، فالله سيعاقبهم أيضا. ورغم أن المملكة الشماليّة هي المستهدفة بشكل رئيسيّ من الدينونة، إلاّ أنّه يتم وضع المملكة الجنوبيّة في نطاق دينونة الله (5:5، 10،13–8، 14).

وفي الآية 13 يرد القول بأنّ أفرايم مضى إلى أشور. لقد كان أفرايم أعظم سبط في المملكة الشماليّة، وبالتالي فهو يُمثّل الجميع. يقول شيزلوم (Chisholm) بأنّ هذا التحوُّل إلى أشور يعني تحوُّل المملكة الشماليّة إلى العدوّ نفسه، أي الملك الآشوري تغلث فلاسر الثالث، كذريعة سياسيّة لاستعادة الاستقرار القوميّ. "من المُرجّح أن هذا يشير إلى تحالف الملك "هوشع بن أيلة" مع أشور (2ملوك 3:17) في الوقت الذي اعتلى فيه عرش إسرائيل (قارن 2ملوك 30:15)."[7] وعوضا عن التوبة ومعالجة خطايا الأمّة (وطلب وجه الربّ)، كان هذا هو العلاج الخاطئ الذي وجدوه لحلّ مشاكلهم. ورغم أن أشور هي الأداة التي يستخدمها الربّ لتأديب إسرائيل، إلاّ أن الربّ هو المبادر والمسيطر على مجريات الأحداث (15:5).

3. التنبّؤ بردّ إسرائيل (6: 1–3)

كما هو الحال في الأجزاء السابقة من السفر، من المتوقّع أن يقوم الرب بردّ إسرائيل بعد معاقبتها. فالله سيشيح بوجهه عن الأمّة ويسمح لهم بأنّ يجوزوا في العقاب الذي يستحقّونه (15:5). وفي وسط محنتهم سوف "يطلبون وجهه". وهذه الآية ترمي إلى ما هو أبعد بكثير من تدمير أشور في يوم هوشع. ففي مكان آخر، يعرض لنا الكتاب المقدّس وقت ردّ الأمّة بالاقتران مع حُكم المسيّا (ولا سيّما في سفر إشعياء). كما أنّ هنالك مقاطع كتابيّة أخرى تتنبّأ بمرور وقت عصيب ("وقت ضيق على يعقوب" – إرميا

[6] Wyrtzen, 321

[7] Chisholm, 1392

7:30) على الأمّة قبل العصر المسيّاني مباشرة وقبل تأسيس العهد الجديد مع إسرائيل (قارن دانيال 1:12). وسوف تتحقّق هذه الآية (14:5) في نهاية فترة الضيقة العظيمة حينما تقوم الأمّة آنذاك بـ "طلب وجه الربّ" وترجع في النهاية إلى المسيّا يسوع (قارن زكريّا 10:12 وما يليها من آيات).

الآيات 1:6–3 هي كلمات ذلك الجيل التائب الذي سيرجع بإيمان إلى الربّ قبل المجيء الثاني للمسيح. وسوف يكون هذا هو التحقيق الكامل لتثنية 1:30 وما يليها من آيات، لأنّه في ذلك النص كان رجوع الشعب مشروطا بالتوبة. لاحظ النصيحتين اللتين يتبعهما وعد: النصيحة الأولى نجدها في 1:6(أ)، والثانية في 3:6 (أ). أمّا الوعود فهي تتحقّق في عصر البركة المسيّاني (قارن مع تثنية 9:30). وسوف يشتمل ردّ الأمّة على لمّ شمل الأمّة في أرض إسرائيل، وهو موضوع سائد في نبوّات إشعياء. يصوِّر إشعياء 12 التسبيح الصادر عن البقيّة التي ستُجمَع: "وتقول في ذلك اليوم: أحمدك يا ربّ لأنّه إذ غضبت عليّ ارتدّ غضبك فتعزّيني" (1:12).

ب. دعوى الربّ تتوسّع ضد إسرائيل (4:6–11:11)

في هذا المقطع الذي يُعدّ أطول مقطع في هذا السفر، تتوسّع "الدعوى" ضد إسرائيل بصورة كبيرة. وتتميّز المقاطع الثانويّة بالخطاب المباشر (4:6؛ 1:9؛ 8:11). ونجد هنا حلقتين من حلقات الدينونة (4:6–14:8 و 1:9–7:11) ويلي كُلا منهما مقطع خلاصيّ قصير (8:11–11). وما يميّز إثم الأمّة هو جحودها ونكرانها للجميل.

1. حلقة (أو دورة) الدينونة الأولى (4:6–14:8)

مرّة أخرى، فإنّ خيانة العهد هي الموضوع الرئيسيّ (7:6). في الآية 4:6 يتم توبيخ كِلتا المملكتين لأنّ "إحسانكم (ولاءكم) كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكرا". والكلمة التي تصف الولاء هي الكلمة العبريّة "*ḥesed*" (חֶסֶד) التي تصف الولاء المُحبّ، ولا سيّما فيما يتعلّق بعلاقة العهد بين الله وإسرائيل. ومن جهة الأمّة، فإنّ "ولاءهم" كان مؤقّتا على عكس محبّة يهوه التي لم تكن متذبذبة وغير مستقرة. وبدلا من اللجوء إلى يهوه عندما كانوا يقعون في متاعب وضيقات، استمروا في الخطأ وزادوا

بأنّ تحوّلوا إلى مصر وأشور طلبا للعون والمساعدة (11:7).[8] وفي غمرة كُلّ خطاياهم وتأديبهم، أخفقوا في العودة إلى الربّ وطلب وجهه من كُل قلوبهم (وهو الشرط المسبق لردّهم ومباركتهم – 10:7). فقلوبهم ليست جاهزة بعد للتوبة، رغم أن الرب سيُسرّ بأنّ يفديهم إن فعلوا ذلك (13:7). وهنالك توبيخ خاص للحُكّام الذين أخفقوا في دعوة الشعب إلى يهوه (7:7).

يُفتتح الأصحاح الثامن بالإعلان عن أنّ العدوّ قادم للهجوم على شعب العهد. إنّهم ليسوا قادمين لأسباب سياسيّة محضة، بل لأن شعب العهد قد انتهكوا عهد يهوه وثاروا ضدّ شريعته. وفي التوراة (أوّل خمسة أسفار من العهد القديم) يصف الله كيف سيتعامل مع الأمّة عن طريق حلقات تأديبيّة عديدة (على سبيل المثال: لاويّين 26). وسوف يعقب التأديب الخفيف أشكال أقسى وأعنف من التأديب إن دعت الضرورة إلى ذلك. وإحدى مراحل الذروة ستكون غزو الأرض وتدميرها على يد أعداء إسرائيل، وقد يصل الأمر إلى سبيهم من الأرض إلى العبوديّة (قارن تثنية 41:28، 64). وهُنا في هوشع 1:8، يقوم النبي بتحذير الشعب بأنّ كلمات الربّ ستتحقّق وأنّهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من التعرُّض للغزو والسبي (قارن 8:8–10). إنّهم على وشك الدخول في مرحلة قاسيّة! إن عبادة الأوثان منتشرة بكثرة في السامرة التي هي عاصمة المملكة الشماليّة (5:8).

2. الحلقة (أو الدورة) الثانية للدينونة (9:1–7:11)

تحتوي هذه الأصحاحات على حديث يجمع ما بين خطيّة الأمّة والدينونة المتوقّعة من الرب. وينبغي مرّة أخرى توقُّع السبي إلى أشور ومصر (3:9، 17). والآية 15:9 تصويريّة تماما. فقد تم تمثيل تمرّدهم على يهوه في الجلجال الذي أصبح مركزا للأصنام والعبادات الباطلة (قارن 15:4؛ 11:12). وعبارة "أطردهم من بيتي" تعني السبي من أرض الموعد. واللفظ العبريّ "أطردهم" هو تعبير ساخر حيث أنّه قد جرى استخدام هذا التعبير أكثر من مرّة عند غزوهم لأرض كنعان حينما أعطى الربّ امتلاك الأرض لإسرائيل (انظر خروج 28:23، 31؛ تثنية 27:33). وكما يقول شيزلوم (Chisholm): "والآن أوشكت

[8] يلاحظ شيزلوم (Chisholm): "في عهد الملك منحيم (نحو سنة 743 أو 738 ق.م.)، خضعت إسرائيل لسيادة أشور (2ملوك 15:19–20). وقد انضم فَقَح (نحو سنة 734 ق.م.) إلى تحالف ضد أشور، لكن تغلث فلاسر الثالث سحق هذا التحالف دون هوادة ولا رحمة (2ملوك 29:15). أمّا الملك هوشع (نحو سنة 732–722 ق.م.)، وبعد أن اعترف بسيادة أشور لفترة زمنيّة ما، توقّف عن دفع الجزية وسعى للتحالف مع مصر (2ملوك 3:17–4أ). وقد أدّى هذا التمرُّد إلى دمار المملكة الشماليّة (2ملوك 4:17ب–6)، وهي النتيجة الحتميّة لسياسة أجنبيّة بقيت طوال عشرين سنة تتّسم بالإجراءات المتذبذبة والنفعيّة" (1395).

إسرائيل على أن تذوق نفس المصير الذي ذاقه الكنعانيّون من قبل وذلك بسبب قيام شعب إسرائيل بممارسة نفس الممارسات الباطلة التي كان الكنعانيون يمارسونها".[9]

يبدأ الأصحاح العاشر بسرد حقيقة أنّه حينما شهدت إسرائيل البركات السابقة، كانت تعزي ذلك الرخاء إلى الأصنام والآلهة الباطلة عوضا عن أن تعزيه إلى يهوه. وكُلّما ازداد رخاؤهم ازداد تمسّكهم بالديانة الباطلة. ونتيجة لذلك، فحينما يقوم الربّ بتأديب شعبه، فسوف يقوم أيضا بتحطيم أصنامهم ومذابحهم الباطلة. وبحسب الآية 10:10، سيتمّ تأديبهم في الوقت الذي يُعيّنه الله. وسوف يجمع الربّ الشعوب ضدّ إسرائيل في الوقت الذي تكون فيه إسرائيل عاقدة العزم على إثمها المزدوج "إثميهم" (يرى فينبرغ (Feinberg) أنّ هذه إشارة إلى مركزيّ العبادة الوثنيّة في بيت إيل ودان).[10] ويفتتح الأصحاح الحادي عشر بذِكر عدم امتنان إسرائيل على جميع الأشياء الحسنة التي صنعها الربّ معهم. لقد دعا الرب إسرائيل ابنه من قلب مُحبّ وأخرجهم من مصر وأعطاهم أرض الموعد. ورغم أنّهم تحوّلوا عن الربّ ليصبحوا ابنا مخيّبا للظن، لكنّ الرب سيُقيم ابنه الأعظم الذي سيواصل طريقه من مصر لتتميم مشيئة الله (انظر خروج 22:4). ويقتبس البشير متّى الآية، عن طريق استعادة الأحداث الماضية والتأمُّل فيها، مشيرا إلى يسوع.

3. جانب الخلاص: تجديد رحمة الربّ (11:8–11)

كما هو الحال في الأجزاء السابقة من هذا السفر، فإنّ مقطع الدينونة يعقبه مقطع خلاصيّ. فستخف حدة دينونة الله بسبب رحمته وإرجاعه لشعبه ولمّ شملهم في نهاية المطاف. ويعلّق شيزلوم (Chisholm) قائلا: "لا ينبغي فهم هذه الآيات على أنّها قرار بوقف الدينونة التي توعّد بها الرب في كُل السفر. بل إن هذه الكلمات هي الرد الإلهي على سبب تعرُّض إسرائيل للمحنة والسبي".[11]

ج. ختام دعوى الرب ضد إسرائيل (11:12–14:9)

1. جانب الدينونة: التهمة الختاميّة (11:12–13:16)

ترجع الآية هوشع 12:11 للحديث عن خيانة إسرائيل، لكن تتمّ الإشارة مرّة أخرى إلى يهوذا التي تتّصف هي الأخرى بالعناد. فالمملكة الجنوبية أفضل حالا بقليل فقط من المملكة الشماليّة، والدينونة التي تقع على إحداهما يجب أن تدق ناقوس الخطر لدى الأخرى لما سيفعله الرب بشعبه (أنظر 2:12). لكن في وسط الدينونة، ما زالت الدعوة للتوبة قائمة (5:12–6).

[9] نفس المرجع السابق، 1400.

[10] فينبيرغ "Feinberg"، 52.

[11] Chisholm, 1403.

في الآية 4:13 تظهر فكرة البغاء مرّة أخرى حيث أنّه كان ينبغي على شعب العهد أن "لا يعرفوا إلها سواي". وللأسف، فقد أدّت فترات البركة التي شهدها الشعب إلى رضاه عن حاله، وتحوّل ذلك إلى فخر زائف (حيث أنّهم عزوا نجاحهم إلى أنفسهم)، وبالتالي فقد وصل بهم الحال إلى أنّهم نسوا الرب (6:13).

2. جانب الخلاص: نصيحة ختاميّة (14:1-9)

يفتتح هذا المقطع بالدعوة إلى التوبة. فالأمل الوحيد لرجوع الشعب من السبي هو بأنّ "يرجعوا إلى الرب". وفي نهاية المطاف ستقوم أمّة إسرائيل بذلك، لكنّهم لن يفعلوا ذلك إلاّ في وسط فترة الضيقة العظيمة. ورغم أن الجيل الحالي سيزول، إلاّ أنه سيكون مثالا للجيل القادم التائب. والجزء الأخير من الآية 2 مثير للاهتمام: "انزع إثمنا وتقبّلنا بفائق رحمتك" (ترجمة كتاب الحياة). فردّ الشعب لن يتمّ إلاّ بعد أن تصدر هذه الكلمات عن الشعب (وتكون أفعالهم مطابقة لكلامهم). لكن لاحظ بأنّ كلمات التوبة تطلب الشركة مع الربّ على أساس النعمة. وهذا يتطلّع إلى إقامة العهد الجديد (أنظر إرميا 31) مع الأمّة. وخلافا للعهد الموسويّ (الذي أخفق الشعب في العيش بمقتضاه)، فسوف يكون العهد الجديد قائما على النعمة. ومن ثم سيتمّ إعادة البركة لهم (4:14 وما يليها من آيات).

ويختتم السفر بدرس وعبرة لكُلّ من يمتاز بالبصيرة والفطنة: كُن أمينا لمطالب عهد الله العادلة لأن الدمار (التعثُّر) هو النتيجة المباشرة لعدم الطاعة.

عبرة لحياتنا

تأمَّل في الآية 6:13 مرّة أخرى. تنطوي البركات والراحة في هذه الحياة على خطر محتمل، لأنّه من المُمكن أن ننسى بأنّ هذه البركات والراحة مصدرها الله، وقد نقع في خطيّة أن ننسب ذلك إلى أنفسنا. ثم قد يتردّى بنا الحال إلى أن ننسى الربّ نهائيًا. لذلك، فإنّ المشقّات والمعاناة مفيدة لنا لأنّها تبقينا متواضعين وتُبقي على شعورنا بالحاجة إلى لله والاتّكال عليه.